

المسلمون في الصين

عبرة وتاريخ

للأستاذ محمود شاكر

انبليج نور الاسلام ، فاضاء الجزيرة العربية ، وحمله المسلمون الى الدول الكبرى المتاخمة لها ، للقضاء على الظلم فيها ، وأسرع الفرس والرومان الذين خشوا على سلطانهم ونفوذهم ، وخافوا من امتداد الاسلام ، فبدأوا ينشرون الدعاية المغرضة ، والآراء المضللة ليقف العالم كله كتلة واحدة في وجه هذه الدعوة الجديدة التي ظهرت من الجزيرة العربية ، فأعلنوا أن حكومة عسكرية قامت في بلاد العرب ، وبدأت في السيطرة على ما جاورها والانسياح نحو جيرانها ، والقصد معروف من هذا الادعاء ، ولكن هذه الدعاية لم تجد نفعا لاصحابها ومروجيها ، فلم تلبث أن زالت دولة الفرس ، ودانت أكثر اجزاء الدولة الرومانية للاسلام ، وغدت رقعة من أرضه ، ثم لم يلبث الاسلام أن طرق أبواب الصين ، فزاد خوف الرومان من أن يعم الدين الجديد المشرق ، ويتم القضاء على البقية الباقية من دولة الروم ، وخاصة بعد تبادل البعثات بين الصين والمسلمين .

الاصطدام بالمسلمين الذين يعلنون الجهاد المقدس ، فيقاتل المسلمون مندفعين بقوة الايمان التي لا تقف أمامها قوة معنوية أو مادية ، لهذا حرصت أوروبا للعمل على وقوف انتشار الاسلام في الصين ، وسعت بكل جهدها لهدم الاسلام ومبادئه من الداخل ، فعمدت الى نشر النظريات الغربية والافكار النظرية وادخالها في مناهج التعليم ، وكان العالم الاسلامي يمر في مرحلة من الضعف والتخلف ، ويريد النهوض

أرض الصين واسعة يقيم فيها الكثير من السكان حتى ليقربوا من ربع سكان العالم في كل عصر . هذا العدد الكبير ، والانتشار الواسع للاسلام بينهم جعل أوروبا تخشى أن يعم الاسلام الصين - كما خاف الفرس والروم من قبل - فبعد الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا على أرض الاسلام أيقن الصليبيون أنهم لا قبل لهم بالمسلمين ، وكانت أوروبا بعد ذلك في فترة توسع وانتشار وكان أكثر ما يرهبها

من كبوته بالاستفادة مما في الغرب ، لذلك انتشرت بين ابنائه الافكار المسمومة . ومن ناحية اخرى عملت أوروبا للتفريق بين صفوف المسلمين في كل مصر من الامصار . شجعت أوروبا المسلمين في الصين على الثورات . فقامت ثورة في كل ناحية من النواحي بمكر صليبي عمل ايضا على تحريض الاسرة الحاكمة في الصين للقضاء على المسلمين ، وشن حرب إبادة تامة لهم ، ولما لم تنجح في كثير من الاحيان عملت على توظيف عدد من المسلمين الذين يعتقدون ان النفع والمال بيد السلطان ، وأعطت بعضهم الآخر امورا ادارية ممن يقرهم المنصب ويبرهم المركز، وهذا ما جعل المسلمين تتفرق كلمتهم وينقسم صفهم ، فيقف بعضهم بجانب الحكومة

والآخر بجانب أعدائها ، ويضطدم بعضهم مع بعض ، وكانت الكلمة في النهاية لأعدائهم الذين استطاعوا ان يقضوا على الثورات الواحدة تلو الاخرى فذهبت ريح المسلمين وارتفعت ريح غيرهم . وقد راق هذا الفعل أوروبا وظنت انها تخلصت من المعادين لها في الشرق الأقصى ، وانها قد انتصرت عليهم وخلا لها الجو من كل مناقشة هناك ، ولكنها لم تستطع ان تقطف ثمرة عملها هذا كاملة ، فلم يمض كبير وقت حتى اشتعلت الثورة الشيوعية ، وسيطرت على كل البلاد وقامت تحارب الغرب وهذا ما أقض مضاجعه وذلك بسبب العدد الهائل كما ذكرنا ، وان كانت لا تزال تشعر بشيء من نشوة النصر ، لان خوفها من الاسلام وعداءها له لا يقاس بغيره .

تركستان الصينية « الشرقية » :

تتم تركستان الغربية (الروسية) ، وحدودها معها خط توزيع المياه ، وتعتبر منطقة قارية تماما ، فهي ابعد مكان في العالم عن البحر ، كما تحجزها الجبال العالية ايضا ، فجبال هيمالايا الشاهقة تمنع وصول اثر المحيط الهندي اليها وتبعد عنه مسافة ١٩٣٠ كم ، لذلك فالحرارة شديدة صيفا والبرودة شديدة شتاء ، وتتألف تركستان الشرقية من خمس مناطق :

من اجل الحدود ، يصل ارتفاعها الى ٤٠٦٠ م ، ويكون اتجاهها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، ومن سفوحها الجنوبية ينبع نهر اريتش ويجري نحو الغرب ويدخل تركستان الغربية ثم الاراضي الروسية لينتهي في المحيط المتجمد الشمالي .

٢ - حوض زو نغارية :

يقع بين جبال آلتاي في الشمال وجبال تيان شان في الجنوب ، وفيه ممرات نحو تركستان الغربية ، وتفيض المياه في أحواض داخلية وأهم هذه المجاري المائية نهر ماناس ، وتتجمع مياهه من السفوح الشمالية

١ - جبال آلتاي :

وهي في الشمال تفصل تركستان عن منغولية ، القسم الأعظم منها يقع في منغولية وكانت موضوع نزاع

إلا في واحة طرفان ، وينخفض عن سطح البحر ٢٧٨ م .

٥- جبال التين تاغ :

وتعزل التين عن تركستان ويصل ارتفاعها الى ٦٠٠٠ م .

والامطار قليلة في تركستان الشرقية وازدهطت فهي نتيجة التبخر المحلي ، وبهطل في اورومجي ٢٢٥ مم بينما ينزل في يارقند ١٥٠ مم .

إن لأقنية الري في هذه المنطقة الجافة أهمية كبيرة ، وإن الخرائب والاطلال التي تنتشر في كل مكان ، تشير الى إعمار زراعي سابق يرتكز على تكاثف بشري كبير يوم كان للإسلام دولة ، ولكن التقلبات السياسية وعدم الاستقرار والمسؤولية والتفكير في مصلحة المسلمين كل هذه الامور قلبت الماضي الزاهر الى حاضر اليم .

ويسود في البلاد اسلوبان للزراعة : الزراعة البعلية ولا تشكل الا جزءاً ضئيلاً من مجموعة الاراضي الزراعية ، وتقوم في المناطق التي تتلقى من الامطار ما يكفي لزراع مزروعات قليلة ، وتعتبر زونغارية أهم منطقة للزراعة البعلية حيث تحتل الزراعة البعلية فيها ما يعادل ١٥ ٪ من المساحة العامة المزروعة ، وأهم المزروعات البعلية الحبوب وخاصة القمح .

والزراعة المروية هي الشائعة في تركستان الشرقية رغم جهد السكان الدائب للحصول على الماء ، وأن الغيوم التي تتلبد في سماء البلاد بصورة استثنائية تضر بالزراعة ضرراً

لجبال تيان شان ، ويصب في بحيرة تيلي نور ، بينما القسم الشرقي صحراوي تماما ، والمناخ في حوض زونغارية قاسي ومع ذلك يسمح بزراعة الحبوب والفاكهة عدا التين والعنب .

٣- جبال تيان شان :

جبال شامخة يقع معظمها في تركستان الغربية ويصل ارتفاعها الى ٧١٥٨ م ، ونظراً لهذا الارتفاع فان الجليد الدائم يغطي قممها ، ويشكل الثلجات الدائمة .

٤- صحراء تاكلاماكان :

كما يطلق عليها اسم حوض تاريم ، وهي صحراء واسعة تصل مساحتها الى ٢٢٠ر٦٤٧ر٢٢٠ كم ، وهي أكثر الصحاري جفافاً في العالم ، تنعدم فيها الامطار تقريبا ، ويختفي النبات ، وتستحيل الحياة عدا بعض الواحات عند مخارج الودية ، والسفر عبر هذه الصحراء صعب ، فمعالم الطرق متغيرة وسلوكها صعب ، ويجري فيها نهر تاريم الذي يبلغ طوله ١٥٠٠ كم وتسمح له غزارته باجتياز هذه الصحراء ، ويتشكل نهر تاريم من ذوبان الثلوج المتراكمة على الجبال الغربية والمجاورة ومن جداول صغيرة تقوم عليها المدن : يارقند وكاشغر واقصووغيرها وأحيانا تتبخر المياه في الجداول قبل ان تصل الى النهر ، ويصب نهر تاريم أخيراً في بحيرة لوب نور في الشرق .

يمكن أن نلحق بصحراء تاكلاماكان منخفض طرفان الذي تحيط به الجبال ، فتمنع عنه الرطوبة ، وتنعدم الحياة

والجمال ذات السنامين في قلب الصحراء .

ورغم أن الدراسات الجيولوجية لا تزال ضئيلة فإنها تدل على وجود كميات كبيرة من الفحم الحجري وبالأخص شمال كولدجا وكميات من البترول كائنة في الحوض الشمالي من تيان شان وخاصة حول أورومجي ثم التنفستين والرصاص والتوتياء ثم الصودا والملح .

وكانت الصناعة بسيطة وحاجات منزلية وزراعية ، وكان القطن يرسل الى شنغهاي ليصنع هناك ، ثم تقدمت الصناعة واستخرجت كميات من الثروة الباطنية ، وأهم مراكز استخراج الفحم في أورومجي العاصمة ، كذلك تقدمت الصناعة النسيجية .

وتعتبر تركستان منطقة تجارية بالدرجة الاولى بسبب موقعها الاستراتيجي بين سيبيريا ومنغوليا والصين والتبت وكشمير والهند ، وقد كانت منذ القديم صلة الوصل بين الشرق والغرب ، فرغم الاطار الجبلي الذي يحيط بتركستان الشرقية هناك ممرات عديدة . فبوابة زونغارية الانهدامية التي لا يزيد ارتفاعها عن ٣١٨ م وطريق الحرير المعروف ، كما أن السكك الحديدية قد وصلت بين الصين وسيبيريا عبر تركستان .

تبلغ مساحة تركستان الشرقية ٧٤٥.٧١.٠١٧ كم^٢ أي أكبر من مساحة

بالفا حيث تحجب أشعة الشمس فتؤخر اذابة الثلوج المتراكمة على قمم الجبال ، وإذا ما علمنا أن معظم أنهار وجداول تركستان ذات تغذية ثلجية تفيض عند ذوبان الثلوج أدركنا مدى الاذى الذي يلحق بالزراعة من جراء شح الانهار نتيجة تأخر ذوبان الثلوج .

والقمح يعتبر أهم المزروعات وهو شتوي في زونغارية وربيعي في حوض تاريم . ثم الذرة وقد دخلت زراعتها عام ١٥٥٠م من قبل الحجاج اثناء زيارتهم لبلاد العرب . ثم هناك الرز والشعير وتبلغ المساحة المزروعة بالحبوب ١٪ من المساحة العامة. ثم هناك **القطن** ويزرع منذ زمن بعيد ويوجد في المنطقة الجنوبية .

التبغ : وتقوم زراعته على السفوح المنخفضة .

الفاكهة : وتزرع في المنحدرات الجبلية ، وضاف الانهار وفي الواحات ، تشتهر واحة طوفان بالثمار وخاصة العنب ، ويوجد البطيخ الاصفر في واحة حامي .

وتوجد الاعشاب في السفوح الجبلية المعرضة للرطوبة ، والبدوي يتنقل طيلة ايام السنة طلبا للماء وانتجاعا للكلا ، وفي فصل الصيف يرتاد الرعاة الجبال حيث تذوب الثلوج وتنمو المروج . وأهم الحيوانات الاغنام والماعز وحيوان اليك وتربي في السفوح الجبلية ، بينما يعتنى بتربية الابقار في الواحات ،

من تركستان .

الكازاق ويشكلون ٩٪ من السكان .

صينيون ويشكلون ٥ ٪ من السكان .

القرغيز الاوزبك وقد قدموا من تركستان الغربية (الروسية) عندما بدأ الروس يسيطرون على بلادهم **المغول** دخلوا البلاد في القرن الثالث عشر الميلادي .

الهوي وهم من أصل عربي ، وينتسبون الى العرب المسلمين الفاتحين الذين قدموا مع قتيبة بن مسلم الباهلي .

الروس الذين فروا اليها مؤخرا .

يبنى السكان منازلهم من الحجر المشوي ، أو الطين المخلوط بالقش ، وتسند هذه المادة هياكل خشبية ، وتمتاز البيوت بأنها ضيقة ، وتتكاثر الى بعضها ، شأنها في ذلك شأن كل العمران القديم وخاصة المناطق التي يقل فيها الامن ، وتعرض المنازل لمداهمة اللصوص ، اضافة الى أن سكان الواحات هم في حالة تعرض دائم لسكان المناطق الصحراوية المجاورة لها ، ولكن بدأت تظهر الابنية الحديثة الى جانب القديمة . واللباس السائد هو القميص الطويل ، والسرراويل ، وكلها مصنوعة من القطن الملون ، وهذا النوع من اللباس هو الشعبي ، بينما يلبس الاغنياء الحرير والفرو والاقمشة الاجنبية .

ليبيا ، وتساوي ما يقارب عشرة امثال مساحة الجمهورية العربية السورية ، ويبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة فالكثافة قليلة لا تزيد عن خمسة اشخاص في الكيلو متر المربع الواحد ، وليست قلة الكثافة هذه نتيجة ضيق الارض الزراعية فحسب وانما الى الاحداث التي مرت على البلاد ، والنكبات السياسية التي اجتاحتها ، فقبلت العهد الزاهر ، يوم كان الاسلام يحكم تلك الارحاء الى اطلال وخرائب وان كان قد تضاعف عدد السكان حسب الجدول التالي :

| عام | عدد السكان |
|------|------------|
| ١٩٤٥ | ٣٨٧.٠٩٥٤ |
| ١٩٥٣ | ٦.٠٠٠.٠٠٠ |
| ١٩٦١ | ٧٣٥.٠٠٠ |
| ١٩٦٧ | ٨.٠٠٠.٠٠٠ |

وهذه الزيادة ناتجة عن زيادة المواليد الكبيرة لدى المسلمين ، وهذا شيء ملحوظ في اكثر العالم الاسلامي ، ثم الى تحسن مستوى المعيشة ، وارتفاع المستوى الصحي ، وتدفق المهاجرين الذين اتوا لاستعمار البلاد . وسكان تركستان لا ينتعمون الى جنس واحد ، فقد جعلها موقعها التجاري عرضة لمرور اجناس كثيرة ، ولدخول اقوام عديدة ، تأتي للسيطرة عليها والمحافظة على الطرق التجارية ، او تعمل في التجارة ثم تستقر فيها ، او فرارا في مناطقها ، وأهم هذه الاجناس :

الاويفور ويشكلون ٨٠٪ من السكان ويسكنون النصف الجنوبي

انتشرت اللغة العربية بعد الفتح مع انتشار الاسلام ، واصبحت الرسمية والوحيدة ، وعندما ضعفت الخلافة العربية الاسلامية ، عمت الفارسية ، ثم سادت التركية، ويتكلم السكان اللغة التركية ، أما الكتب الدينية فأكثرها بالعربية ، وتليها الفارسية ، وهذا شأن كل البلاد الاسلامية سكانها يريدون التعرف على اللغة العربية ولكنهم لا يجدون سبيلا الى ذلك ، فالعلماء في تركستان يعرفون العربية وبعضهم يعرف الفارسية بجانبها ولكنهم يفهمون اذا خاطبهم الانسان ولا يستطيعون التعبير .

ويمارس السكان الزراعة وتربية الماشية ، وان كنا نستطيع الآن أن نضيف نمطا آخر للحياة وهو ممارستهم الصناعة .

ويدين اكثر من ٧٥ ٪ من السكان بالاسلام ، وهم جل السكان الاصليين ، أما السكان الوافدين ، فقد احتفظ كل بديانته التي قدم بها ، وقبل القرن الحالي ، كان أغلب الذين يهاجرون الى تركستان يعتقدون الاسلام بعد فترة إن لم يكونوا من المسلمين ، أما الآن فقد انقطع الدخول في الاسلام الذي توقف انتشاره أيضا، بل لم يعد للدين اي مركز ، حتى كاد يمحي من الحياة الاجتماعية وانطمست معالمه ومظاهره ، أما من القلوب ، فالله أعلم بالسرائر ، والقلوب حصون تبقى عامرة بالايمن ولا يمكن أن يزول

منها بسهولة ، حتى اذا عمل الايمان عمله عاد الحق الى أصحابه في البلاد. يعيش سكان تركستان في واحات تقع على مجاري الاودية في سهل زنفارية وحوض تاريم وأهم هذه الواحات هي :

أورومچي : وهي عاصمة تركستان وتقع في جنوب سهل زونفارية وقد اضحى اسمها اليوم تيهوا .

كاشغر : تقع على رافد صغير لنهر تاريم وقد فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي وكانت مركز المنطقة وتسمى اليوم شوفو ويبلغ سكانها ٧٠ الف نسمة .

يارقند : في حوض تاريم الاعلى ويبلغ عدد سكانها ما يقارب ٣٠٠ الف وتسمى اليوم سوجي .

خوتان : وتقع على رافد كبير لنهر تاريم ، وسكانها ١٠٠ الف نسمة وتسمى اليوم هوتين .

اقصو ، ويبلغ عدد سكانها ٤٠ الف وتقع في الغرب وتسمى ونسوه . ثم هناك واحة **طرفان** ، وواحة **حامي** في أقصى الشمال الشرقي ويطلق عليها اليوم اسم كومول .

ومن الملاحظ أن المدن قد تغيرت اسمائها ، لينقطع حاضرها عن ماضيها الاسلامي الزاهر ، وكذلك فالتاريخ لا يدرس إلا اعتبارا من القرن الحالي ، وينسب للماضي كل صفات السوء من جهل وفساد واختلال لنظام الامن ، وانتشار للخرافات ، والعقائد الباطلة التي صنعتها البورجوازية واطلق عليها اسم الدين .